المؤمن كالنخلة

لا سعادة ولا فلاح ولا فوز الا بالإيمان (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) فالسعادة في الدنيا والاخرة مبنية على الايمان وكلما زاد الايمان زادت السعادة وكلما قل الايمان قلت السعادة، نيل رضا الله وكسب محبته إنما يكون بالإيمان، وبه يورث صاحبه جنة عرضها السماوات والارض اعد فيها ما لاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، الإيمان ينال به العبد رؤية الله التي هي اكمل والذ نعيم في الجنة إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر يوم القيامة وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وأما الفريق الاخر غير المؤمن محجوب عن كل خير ولذة وسعادة وعن رضا الله وثوابه ونعيمه وما اعده للمؤمنين، الإيمان ينجو به من النار وسخط الجبار، وهؤلاء الذين لا يؤمنون بالله لهم سخط الجبار ودركات النار والحرمان من كل خير ،أما المؤمن ينجو بإيمانه من النار وان كان مؤمن مقصر مفرط فهو تحت المشيئة إما يعذبه وإما يعفو عنه، فبإيمانه ولو سرق ولو زنا مآله إلى الجنة، وان لم يكن دخوله لها دخولاً أولي فمآلي، وحتى من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان تنفعه وتخرجه من النار.

مماثلة المؤمن للنخلة:

إنَّ الشجرة الكريمة المباركة – النخلة – التي هي أفضل الشجر وأطيبه وأحسنه قد جعلها الله في كتابه الكريم مثلاً لعبده المؤمن ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:24-25]

دعوة الى النظر والتفكر بالمثل العظيم للايمان وضرب الامثال لتقريب المعنوي بالحسي، فضَرْبُ الأمثالِ والأشباه، لزيادةِ الإفهام وتصويرِ المعاني لتَرْسُخ في الأذهان.

وجاءت السنة معينة ومبينة للشجرة بأنها النخلة:

روى البخاري ومسلم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال:" بَيْنا نحنُ عند النبي -ﷺ- جُلوس، إذْ أُتِيَ بِجُمّارِ نَخْلَة، فقال وهو يأكُلُه: إنَّ من الشَّجَر شَجَرة خضراءُ ، لَما بَرَكَتُها كبَرَكَةِ المسلم ، لا يَسْقُطُ وَرَقُها ، ولا يَتَحاتُّ ، وتُؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذْنِ رَبِّها ، وإنها مِثْلُ المُسْلِم" .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي ما هي فَوَقَعَ النَّاسُ في شَجَرِ البَوادِي قالَ عبدُ اللَّهِ: ووَقَعَ في نَفْسِي أنَّها النَّخْلَةُ، فاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قالوا: حَدِّثْنا ما هي يا رَسولَ اللَّهِ قالَ: هي النَّخْلَةُ". صحيح البخاري

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، مَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ نَفَعَكَ". صحيح الجامع

والنخلة إنما حازت هذه الفضيلة العظيمة بأن جُعلت مثلاً لعبد الله المؤمن لأنها أفضل الشجر وأحسنه وأكثره عائدة جُعلت مثلاً للمؤمن؛ كثبات أَصْلُهَا وارتفاع فَرْعُهَا وإيتائها أُكُلَها كل حين.

ووصفها بالبركة وأنها لا يؤخذ منها شيء إلا نفع، ونحو ذلك مما يدل على فضل النخلة وتميزها وتشابهها مع المؤمن المطيع لله الذي قامت في قلبه كلمة الإيمان وانغرست في صدره وأخذت تثمر الثمار اليانعة والخير المتنوع.

☝ومن يتأمل في النخلة والمؤمن المطيع لله يجد بينهما أوجهاً من الشبَه كثيرة، منها:

❶ أن النخلة لابد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر، وكذلك الإيمان لابد له من أصل وفروع وثمر؛ فأصله الإيمان بأصول الإيمان بالأركان الستة المعروفة، وفروعه الأعمال الصالحة والطاعات المتنوعة والقربات العديدة، وثمراته كل خير يحصِّله المؤمن وكل سعادة يجنيها في الدنيا والآخرة.

❷والنخلة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنمِّيها، فهي لا تحيا ولا تنمو إلا إذا سقيت بالماء، فإذا حُبس عنها الماء ذبلت، وإذا قُطع عنها تماماً ماتت؛ وهكذا الشأن في المؤمن لا يحيا الحياة الحقيقية ولا تستقيم له حياته إلا بسقي من نوع خاص؛ وهو سقي قلبه بالوحي: كلام الله وكلام رسوله -ﷺ-، قال الله تعالى :(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) [الأنعام:122].

✉وبهذا يُعلم أن شجرة الإيمان في القلب، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح توشك أن تيبس أو أن تموت، قال رسول الله -ﷺ-: "إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كَما يَخلَقُ الثّوبُ، فاسْألُوا اللهَ تعالَى: أنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكُمْ" صحيح الجامع

❸ومن أوجه الشبه بين المؤمن والنخلة: أن النخلة شديدة الثبوت كما قال الله تعالى: (أَصْلُهَا ثَابِتٌ)، وهكذا الشأن في الإيمان إذا رسخ في القلب؛ فإنه يصير في أشد ما يكون من الثبات لا يزعزعه شيء، بل يكون ثابتاً كثبوت الجبال الرواسي.

☝وأكبر مثال الصحابة:

✿الزبير بن العوام وكان عمه يعلقه في حصير ويدخن عليه بالنار ويقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبدا" رواه الطبراني.

✿خباب بن الأرَتّ رضي الله عنه: كانت تأتى سيدته بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره ورأسه، ليكفر برسول الله -ﷺ- ويرجع عن إسلامه، فلم يكن يزيده ذلك إلا إيماناً، وكذلك كان المشركون يعذبونه فيلوون عنقه، ويجذبون شعره، وقد ألقوه على النار، ثم سحبوه عليها، فما أطفأها إلا شحم ظهره.

📄وسُئل الأوزاعي رحمه الله عن الإيمان أيزيد؟ قال: " نعم حتى يكون مثل الجبال " قيل: أينقص؟ قال: " نعم حتى لا يبقى منه شيء ".

❹والنخلة لا تنبت في كل أرض، بل لا تنبت إلا في أراضٍ معيَّنة طيبة التربة، فهي في بعض الأماكن لا تنبت مطلقاً، وفي بعضها تنبت، ولكن لا تثمر، وفي بعضها تثمر، ولكن يكون الثمر ضعيفاً، فليست كل أرض تناسب النخلة.

✉وهكذا الشأن في الإيمان؛ فهو لا يثبت في كل قلب، وإنما يثبت في قلب من كتب الله له الهداية وشرح صدره للإيمان، والقلوب أوعية متفاوتة وبعضها أوعى من بعض.

❺ وقد وصفت النخلة في الآية بأنها شجرة طيبة، وهذا من أعم الأوصاف، يراد به طيب المنظر والصورة والشكل وطيب الريح وطيب الثمر وطيب المنفعة ؛ والمؤمن كذلك أجلُّ صفاته الطيب في شؤونه كلها وأحواله جميعها ، في ظاهره وباطنه وفي سره وعلنه ، ولهذا عندما يدخل المؤمنون الجنة تتلقاهم خزنتها قائلة لهم: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) [الزمر:73]، وقال

تعالى: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [النحل: 32].

❻ والنخلة وصفت بأنها ما أخذت منها من شيء نفعك كما في حديث ابن عمر المتقدم، فكل شيء في النخلة ينفع، وهكذا الشأن بالنسبة للمؤمن مع إخوانه وجلسائه؛ لا يُرى فيه إلا الأخلاق الكريمة والآداب الرفيعة والمعاملة الحسنة والنصح لجلسائه وبذل الخير لهم، ولا يصلُ إليهم منه ما يضر، بل لا يصل إليهم منه إلا ما ينفع.

❼ ثم إن قلب النخلة وهو الجمار من أطيب القلوب وأحلاها؛ إذ هو حلو الطعم جميل المذاق، وكذلك قلب المؤمن من أطيب القلوب وأحسنها، لا يحمل إلا الخير، ولا يبطن سوى الاستقامة والصلاح والسلامة.

❽ وثمر النخلة من أنفع ثمار العالم وله حلاوة لا تدانيها حلاوة، وكذلك الإيمان له حلاوة ولذة لا يذوقها إلا صحيح الإيمان، عن أنس رضي الله عنه: عن النبي -ﷺ- قال: " ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ ". صحيح البخاري

❾ثم إن النخل بينه تفاوت عظيم في شكله ونوعه وثمره ، فليست النخيل في مستوى واحد في الحسن والجودة بل بينه من التفاوت والتمايز الشيء الكثير ؛ وهكذا الشأن بين المؤمنين ، فالمؤمنون متفاوتون في الإيمان ، وليسو في الإيمان على درجة واحدة ، بل بينهم من التفاوت والتفاضل الشيء الكثير ، كما قال الله تعالى : {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر:32] .

❿والنخلة كلما طال عمرها ازداد خيرها وجاد ثمرها، وكذلك المؤمن إذا طال عمره ازداد خيره وحسن عمله، قال-ﷺ-:" مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ ". صحيح الترمذي

✿فهذه بعض أوجه الشبه بين المؤمن وبين النخلة؛ يحيا بتأملها قلب المؤمن، ويزيد إيمانه، ويقوى يقينه، ويعظم شكره وحمده لربه.

قال الله تعالى:(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [إبراهيم:24-25].

☜بما تقدَّم يعلم أن الإيمان شجرة مباركة، عظيمة النفع، غزيرة الفائدة، كثيرة الثمر، لها مكان خاص تغرس فيه ولها سقي خاص ولها أصل وفروع وثمار

✿ مكانها: فهو قلب المؤمن، فيه توضع بذورها وأصولها، ومنه تتفرع أغصانها وفروعها.

✿وسقيها: فهو الوحي المبين؛ كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-، فبه تسقى هذه الشجرة، ولا حياة لها ولا نماء إلا به.

✿وأصلها: فهو أصول الإيمان الستة، وأعلاها الإيمان بالله تعالى فهو أصل أصول هذه الشجرة المباركة.

✿وفروعها: فهي الأعمال الصالحة والطاعات المتنوعة والقربات العديدة التي يقوم بها المؤمن.

✽وثمراتها: فكل خير وسعادة ينالها المؤمن في الدنيا والآخرة فهو ثمرة من ثمار الإيمان ونتيجة من نتائجه.

قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل:97]

وقال سبحانه: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) [الرعد:29]

قال-ﷺ-:" طوبى شجرةٌ في الجنَّةِ، مسيرةُ مائةِ عامٍ، ثيابُ أهلِ الجنةِ تخرجُ مِنْ أكْمامِها" صحيح الجامع

ثمار الإيمان ونتائجه في الدنيا والاخرة لا تحصى ولا تعد، كل خير ونعمة وراحة ولذة وسرور في الدنيا والاخرة هو ثمرة من ثمرات الإيمان ونتيجة من نتائجه، وكل شر وبلاء في الدنيا والاخرة نتيجة ضعف الايمان او عدمه والشرور كلها من ضعف الايمان.

الايمان فضل من الله ومنة واجل نعمة على الاطلاق، قال تعالى:(وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) [الحجرات:7]

قال تعالى:(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [الحجرات:17]

فلولا الله لما اهتدينا ولا صومنا ولا صلينا، يجب ان نحمد الله كثيرا أن هدانا للإيمان والإسلام ونثني عليه الثناء العظيم ونسأله سبحانه الثبات على ذلك والموت عليه، ونلح بالدعاء أن يزين قلوبنا بزينة الايمان، ونتضرع اليه سبحانه أن يثبت قلوبنا على دينه، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

عندما يدرك الانسان اهميته وعظم شأنه يتمنى الزيادة فيه وبلوغ أعلى درجاته، ولكن الامر ليس بالاماني فقط ولو اقتصر الانسان على الامنية والتمني يموت ولم يحصل شيء، من ذاق حلاوة الايمان آتاه الله الهيبة بلا سلطان، والجاه بلا عشيرة، قوة وجرأة على الحق، بحلاوة الايمان أنت الأقوى، والأتقى، والأعز، والاشرف.

قبل أن يدخل رسول الله -ﷺ- دار الأرقم، كان عبد الله بن مسعود قد آمن به، وأصبح سادس ستة أسلموا واتبعوا الرسول، عليه وعليهم الصلاة والسلام هو اذن من الأوائل المبكرين، ولقد تحدث عن أول لقائه برسول الله -ﷺ- فقال:" كنت غلاما يافعا، أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فجاء النبي -ﷺ-، وأبو بكر فقالا: يا غلام، هل عندك من لبن تسقينا...؟؟ فقلت: إني مؤتمن، ولست ساقيكما...فقال النبي -ﷺ-: هل عندك من شاة حائل، لم ينز عليها الفحل...؟ قلت: نعم.. فأتيتهما بها، فاعتقلها النبي ومسح الضرع.. ثم اتاه أبو بكر بصخرة منقعرة، فاحتلب فيها، فشرب أبو بكر ثم شربت...ثم قال للضرع: اقلص، فقلص...فأتيت النبي -ﷺ- بعد لك، فقلت: علمني من هذا القول فقال: إنك غلام معلم"...لقد انبهر عبد الله بن مسعود حين رأى عبد الله الصالح ورسوله الأمين يدعو ربه، ويمسح ضرعا لا عهد له باللبن بعد، فهذا هو يعطى من خير الله ورزقه لبنا خالصا سائغا للشاربين...!! وما كان يدري يومها، أنه انما يشاهد أهون المعجزات وأقلها شأنا، وأنه عما قريب سيشهد من هذا الرسول الكريم معجزات تهز الدنيا، وتلمؤها هدى ونور... بل ما كان يدري يومها، أنه وهو ذلك الغلام الفقير الضعيف الأجير الذي يرعى غنم عقبة بن معيط، سيكون جبلاً شامخاً ثابتاً بإيمانه أمام كبار قريش، ويقهر جبروت ساداتها... فيذهب وهو الذي لم يكن يجرؤ أن

يمر بمجلس فيه أحد أشراف مكة الا مطرق الرأس حثيث الخطى... نقول: يذهب بعد إسلامه الى مجمع الأشراف عند الكعبة، وكل سادات قريش وزعمائها هنالك جالسون فيقف على رؤوسهم ويرفع صوته الحلو المثير بكلام الله بسم الله الرحمن الرحيم (الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ...)[الرحمن :1-6] ثم يواصل قراءته وزعماء قريش مشدوهون، لا يصدقون أعينهم التي ترى، ولا آذانهم التي تسمع، ولا يتصورون أن هذا الذي يتحدى بأسهم، وكبريائهم، انما هو أجير واحد منهم، وراعي غنم لشريف من شرفائهم، عبد الله بن مسعود الفقير المغمور..!!هذا المؤمن كالنخلة قوي صامد أمام الباطل لا يطأطأ رأسه، شامخ بالحق معلن له مؤذن به.

⌧الايمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الاعمال، بالجد والمثابرة والاخذ بالاسباب وعدم الركون والكسل والسعي الحثيث لنيل الايمان، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-:(اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ). صحيح مسلم

فالعبد المؤمن الموفق لا يزال يسعى في أمرين:

أحدهما: تحقيق الإيمان وفروعه والتحقق بها علماً وعملاً، حالاً.

والثاني: السعي في دفع ما ينافيها وينقضها أو ينقصها من الفتن الظاهرة والباطنة.

أسباب زيادة الإيمان:

لقد جعل الله سبحانه لكل مرغوب ومطلوب سبباً وطريقاً يوصل إليه ولعل أهم هذه الأسباب ما يلي:

أولاً- تعلم العلم النافع: إن أهم وأنفع أسباب زيادة الإيمان تعلم العلم النافع، العلم الشرعي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

✿العلم يزيد الايمان وينميه ويقويه، والاجتهاد في تحصيله ومدارسته يزيد الايمان، (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ...) [فاطر:28]

قال ابن كثير: أي "إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القديم أتم، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر".

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: " فضلُ العالِمِ على العابِدِ كفضلي على أدناكم ثمَّ قالَ رسولُ اللَّهِ -ﷺ- إنَّ اللَّهَ وملائِكتَهُ وأهلَ السَّماواتِ والأرضِ حتَّى النَّملةَ في جُحرِها وحتَّى الحوتَ ليصلُّونَ على معلِّمِ النَّاسِ الخيرَ ". صحيح الترمذي

فالعالم عرف ربه، وعرف نبيه، وعرف أوامر الله وحدوده، وميز بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما يكرهه ويأباه، فهو يعمل بأمر الله فيما يأتي ويذر، فيمتثل لأمر الله وينقاد.

فالعلم ليس مقصوداً لذاته وإنما هو مقصود لغيره وهو العمل، فكل علم شرعي هو وسيلة للتعبد به لله تعالى ويدل على ذلك أمور:

الاول: أن الشرع إنما جاء بالتعبد، وهو المقصود من بعثة الأنبياء عليهم السلام، كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ...) [سورة البقرة:21]

الثاني: ما جاء من الأدلة الدالة على أن روح العلم هو العمل، وإلا فالعلم عارية وغير منتفع به، قال تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ) [الزمر:9]

الثالث: ما ثبت في نصوص الشرع من التهديد الشديد، والتغليظ والوعيد لمن لم يعمل بعلمه، وأن العالم سيسأل عن علمه ماذا عمل به، وأن من لم يعمل بعلمه يكون علمه وبالاً عليه وحسرة وندامة، قال تعالى:(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) [سورة البقرة: 44]، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) [الصف2- 3]

🗐وقال شيخ الإسلام:" ولهذا يقال: العلم علمان: علم في القلب، وعلم على اللسان، فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان هو حجة الله على عباده".

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ - قَالَ: " قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ "

🗐قال عمر رضي الله عنه: (استقاموا والله على طاعة الله ولم يروغوا روغان الثعالب). رواه ابن المبارك وأحمد في الزهد بسند صحيح

🗐قال ابن رجب:"فمتى كان العلم نافعاً ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر له وذل هيبة وإجلالاً وخشية ومحبة وتعظيماً، ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال في الدنيا وشبعت به فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا ... وأوجب له علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه".

✿أما أبواب العلم الشرعي التي يحصل بها زيادة الإيمان فكثيرة جداً، أجمل بعضها فيما يلي:

❶الأول- قراءة القرآن الكريم وتدبره: فإن هذا من أعظم أبواب العلم المؤدية إلى زيادة الإيمان وثباته وقوته: وقال تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الأنعام:155] (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء : 9] ، فالذي يقرأ كتاب الله ويتدبر آياته ويتأملها، يجد فيه من العلوم والمعارف ما يقوي إيمانه ويزيده وينميه.

🖂ذلك أنه يجد في خطاب القرآن ملكاً له الملك كله، وله الحمد كله أزمة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، ومردها إليه، مستوياً على عرشه، لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته، عالماً بما في نفوس عبيده، مطلعاً على أسرارهم وعلانيتهم، منفرداً بتدبير المملكة، يسمع ويرى، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهن، ويخلق ويرزق، ويميت ويحي، ويقدر ويقضي ويدبر، ويدعو عباده، ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويرغبهم فيه، ويحذرهم مما فيه هلاكهم، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه، فيذكرهم بنعمه عليهم، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها، ويحذرهم من نقمه ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء.

🖎نقرأ (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) ونعلم وهو سبحانه القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء، ولا يغلبه شيء، نتأمل كيف يعامل الله أوليائه وكيف يعامل أعدائه، فأنجى الله موسى وقومه، وأغرق

فرعون وقومه، بماء واحد، وأمر واحد، (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) [الشعراء: 61 - 68].

⌧يجب أن يكون الهم عند تلاوة القران متى أتعظ بما أتلو، ولم يكن مراده متى أختم السورة، وإنما مراده متى اعقل عن الله الخطاب، متى ازدجر متى اعتبر لأن تلاوة القرآن عبادة، لا تكون بغفلة، والله الموفق لذلك".

❷الثاني- معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى: فإن معرفة أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، والتي تدل على كمال الله المطلق من كافة الوجوه، لمن أعظم أبواب العلم التي يحصل بها زيادة الإيمان، لأن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والتفقه في فهم معانيها.

✿ فإذا علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة فإن ذلك يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً.

✿وإذا علم بأن الله سميع بصير عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، فإن هذا يثمر له حفظ اللسان والجوارح وخطرات القلب عن كل ما لا يرضى الله، وأن يجعل تعلقات هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه.

🗁وفي قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار ... فقال أحدهم: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليّ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أُحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .... رواه البخاري ومسلم

⌧ذم الله من يجعله أهون الناظرين: قال الله عز وجل عنهم: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) [النساء:108]

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-:"إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنة" بخاري

🗐وقال ابن سعدي مبيناً معنى أحصاها الواردة في حديث أبي هريرة المتقدم: أي: من حفظها وفهم معانيها واعتقدها وتعبد الله بها دخل الجنة.

❸الثالث- تأمل سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: فإن من أسباب زيادة الإيمان النظر في سيرة النبي -ﷺ- ودراستها وتأمل ما ذكر فيها من نعوته الطيبة، وخصاله الكريمة، وشمائله الحميدة، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وافترض الله على العباد طاعته وتعزيره، وتوقيره ومحبته، والقيام بحقوقه، وسد دون الجنة الطرق فلن تفتح لأحد إلا من طريقه، بهذا العلم نزداد محبه للنبي -ﷺ-، وتورثنا هذه المحبة المتابعة له في القول والعمل.

والدفاع عنه وعن سنته عليه صلوات الله والناس اجمعين كما كان الصحابة: وهذا الصحابي زيد بن الدثنة رضي الله عنه تمكن منه بعض مشركي قريش وأرادوا قتله انتقامًا لقتلاهم في بدر فقال له أبو سفيان بن حرب: أُنْشِدُكَ اللهَ يَا زَيْدُ أَتُحِبُ أن مُحمَّدًا عندَنا الآنَ في مكانِكَ نضرْبُ عُنْقهُ وَإنَّك في أَهلِكَ؟ فقال زيد رضي الله عنه والله ما أُحبَ أنّ مُحمّدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبُهُ شوْكةٌ تُؤذيهِ وأنا جالسٌ في أهلي.

قول الله تعالى في وصف نبيه -ﷺ-:(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 128] وقوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: 4].

وحديث انس بن مالك رضي الله عنه قال:" ولقد خدمتُ رسولَ اللَّهِ -ﷺ- عشرَ سنينَ فواللَّه ما قالَ لي: أفٍّ قطُّ، ولا قالَ لشيءٍ فعلتُهُ: لمَ فعلتَ كَذا ولا لشيءٍ لم أفعلْهُ ألا فعلتَ كَذا "البخاري ومسلم، وقال رضي الله عنه"" كانَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ- أَحْسَنَ النَّاسِ، وأَجْوَدَ النَّاسِ، وأَشْجَعَ النَّاسِ "

وقال رضي الله عنه:" انَ النَّبيُّ -ﷺ- أحسَنَ النَّاسِ خُلُقًا ". صحيح البخاري

و" لَمْ يَكُنِ النبيُّ -ﷺ- فَاحِشًا ولَا مُتَفَحِّشًا، وكانَ يقولُ: إنَّ مِن خِيَارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلَاقًا. " البخاري ومسلم

وكانَ النَّبيُّ -ﷺ- "أشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا". صحيح البخاري

وغيرها مما يطول ذكره.

فإن من تأمل ذلك انتفع به غاية الانتفاع، ثم إن هذا من أعظم ما يقوي المحبة في قلب المسلم لنبيه -ﷺ-، وزيادةُ المحبة له -ﷺ- زيادة في الإيمان، تورث المتابعة والعمل الصالح، وهذا من أعظم أبواب وسبل الهداية.

❹الرابع- تأمل محاسن الدين الإسلامي: فإن الدين الإسلامي كله محاسن، عقائده أصح العقائد وأصدقها وأنفعها، وأخلاقه أحمد الأخلاق وأجملها، وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلها.

وبهذا النظر الجليل، والتأمل الجميل في محاسن هذا الدين، يزين الله الإيمان في قلب العبد، ويحببه إليه كما امتن به على خيار خلقه، (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ)

فيتجمل الباطن بأصول الإيمان وحقائقه.

وتتجمل الجوارح بأعمال الإيمان.

لهذا فإن تأمل محاسن هذا الدين، والنظر فيما جاء فيه من أوامر ونواهيه، وشرائع وأحكام، وأخلاق وآداب، لمن أعظم الدواعي والدوافع للدخول فيه لمن لم يؤمن، وللإزدياد منه لمن آمن، بل إن من قوى تأمله لمحاسن هذا الدين، ورسخت قدمه في معرفته ومعرفة حسنه وكماله، وقبح ما خالفه، كان من أقوى الناس إيماناً وأحسنهم ثباتاً عليه، وتمسكاً به.

فهذا الذي ذاق حلاوة الإيمان وخالطت بشاشته سويداء قلبه، وأضاء نوراً به، واطمأن بذلك أشد الإطمئنان، لا يكاد بعد ذلك يرجع إلى الكفر والضلال، واتباع الأهواء والظنون الكاذبة بل إنه يكون من أرسخ الناس إيماناً وأشدهم تمسكاً وثباتاً، وأقواهم تعلقاً بربه وخالقه.

انظروا إلى ثبات عبد الله بن حذافة السهمي وتماسكه وثباته: - فها هو يضرب أروع أمثلة العزة والثبات على دين الله حيث دفع هرقل عبد الله إلى أحد رجاله و أوصاه ، أن يجيعه ، ثم

يطعمه لحم خنزير ، فأجاعه الرجل و كان كل يوم يأتيه بلحم خنزير فيضعه أمامه ليأكله ، و لكن عبد الله كان يُعرض عنه، و يقول: هذا طعام لا يحل لنا أكله ، و مضت على ذلك أيامٌ حتى شارف على الهلاك، فأخبر الرجل هرقل بذلك ، فقال له : أطعمه ما يريد ، ثم ، أعطشه، و أعطه خمراً ليشربها بدلاً من الماء ، ففعل الرجل ذلك لكن ما ظنكم بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيُشمِت به الروم؟ كان يعرض عن الخمر و يقول: هذا شراب لا يحل لنا شربه، حتى أوشك على الهلاك، فأخبر الرجل هرقل بذلك ، و قال له :إن كانت لك في الرجل حاجة فأطعمه ما يريد ودعه يشرب ما يريد قبل أن يهلك، فقال هرقل :دعه يأكل و يشرب ما يريد، إنني بلوته بالضراء و سأبلوه بالسراء، أرسلوا إليه أفخر الطعام و الشراب و الثياب وففعل الرجل ذلك لكن ما ظنكم بصاحب رسول الله أيُشمِت به الروم؟ كان يعرض عن الخمر و يقول :و لكن عبد الله ما كان يلتفت إلى شيء بل كان لا يأكل إلا قوتاً، و لا يشرب إلا كفافاً ، و لا يبدل ثوبه إلا إذا اتسخ، عند ذلك أرسل إليه هرقل و قال له :قد بلوتك بالضراء و بالسراء فصبرت ، فهل لك أن تقبّل رأسي و تنجو بنفسك؟ قال :لا ،لا أقبّل رأسك لأنجو بنفسي فقط، فقال له : فهل لك أن تقبّل رأسي و أدفع لك كل أسير من المسلمين عندي؟ قال : نعم و قبّل عبد الله بن حذافة رضي الله تعالى عنه رأس هرقل ،و دفع إليه هرقل جميع أسارى المسلمين الذين عنده(و كانوا ثمانين رجلاً) فعاد بهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. و عندما قصّ القصة على عمر قام و قبّل رأسه وقال: حقٌ على كل من رأى عبد الله أن يقبل رأسه، ثم قال له: يرحمك الله، ما منعك إذ بلغ بك الجهد ما بلغ أن تأكل لحم الخنزير، و أن تشرب الخمر ، فقال :و الله يا أمير المؤمنين ، لقد علمت أن ذلك موسّعاً لي فيه، و لكنني كرهت أن يشمت الروم و هرقل بالإسلام و أهله.

❺الخامس – قراءة سيرة سلف هذه الأمة: فإن سلف هذه الأمة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتابعيهم بإحسان، أهل الصدر الأول من الإصلام، هم خير القرون، وحماة الإسلام، وهداة الأنام.

⌧وخص منهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين خصهم الله برؤية نبيه صلى الله عليه وسلم ومتعهم بالنظر إلى طلعته، وأكرمهم بسماع صوته والأنس بحديثه، فأخذوا الدين منه غضاً طرياً، فاستحكمت به قلوبهم، واطمأنت به نفوسهم، وثبتوا عليه ثبوت الجبال، ويكفي في بيان فضلهم أن الله خاطبهم بقوله: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} ال عمران والمعنى: أنهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: "خير أمتي القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ... " مسلم

⌧فمن تأمل حال هؤلاء الأخبار، وقرأ سيرهم، وعرفَ محاسنهم، وتأمل ما كانوا عليه من خلق عظيم، وتأسٍ بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وتعهد للإيمان، وخوفٍ من الذنوب والمعاصي، وحذر من الرياء والنفاق، وإقبالٍ على الطاعة، وتنافسٍ في فعل الخير، وتبصرَ في حالهم وقوة إيمانهم، وشدة تعبدهم لله، وحرصِهم على طاعته، وإعراضهم عن الدنيا الفانية، وإقبالِهم على الآخرة الباقية.

✾اسمعوا عن ثبات بلال رضي الله عنه شامخ مثل النخلة لا ينحي أمام العذاب:-ثبت على دينه أمام تلك الصخور العظيمة التي توضع على ظهره وصدره في حمايا الظهيرة في رمضاء مكة وهو يقول " أحد، أحد " فلما سألوه الصحابة كيف تحملت هذا العذاب ؟ قال مقالة الواثق في موعود ربه : " والله لقد ذقت حلاوة الإيمان وأرتفع الإيمان في قلبي حتى أنني لم أشعر بمرارة العذاب ".

✾واسمعوا عن مصعب بن عمير رضي الله عنه، المنعم المدلل النخلة الشامخة الذي لم ينحي بالرغم من الالام والتعذيب وضيق الحال وهو المعروف بالحسب والنسب والغنى، هذا حال كل من رسخ الايمان في قلبه.

☜رأى النبي مصعب وهو يرتدي عباءةً قديمة، وثوباً مرقَّعاً، وهو الذي كان قبل إسلامه منعَّماً، يحيا حياة التَّرف، ويلبس الثِّياب الفاخرة، وكذلك أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه ونهكت جسمه حتى كان رسول الله -ﷺ- ينظر إليه وعليه فروة قد رفعها، فيبكي لما كان يعرف من نعمته قبل إسلامه، ولكنه حب الإيمان، مصعب بن عُمَير، قُتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا بها رجلاه خرج رأسه، فقال لنا النبي: ((غطّوا بها رأسه، واجعلوا على رجله الإذخر)).

☜هذا هو مصعب بن عُمَير، ذلكم الرجل الذي كان يلبس أجمل الثياب في شبابه، ويأكل أطيب الطعام، ترمقه العيون إكبارًا وإعجابًا لحسنه وغناه ومكانته، ينسلخ من ذلك الترف والنعيم كله مبتغيًا وجه الله تعالى وما أعده لعباده المؤمنين، ثم يجاهد مع رسول الله بائعًا نفسه من الله حتى قتل شهيدًا لا يجد المسلمون عند موته غير ثوب قصير بال لا يكفي كفنًا له، فرضي الله عنه وأرضاه.

✾ ومن نساء المسلمين لم يشترك في معركة أحد إلا امرأة واحدة هي أم عمارة نسيبة بنت كعب فلما رأت النبي في أرض المعركة قد تكالب عليه أعداؤه من يمنة ويسرة رمت القراب التي كانت تسقي بها جرحى المسلمين، وأخذت تدافع عنه. فقال الرسول عنها: ما رأيت مثل ما رأيت من أم عمارة في ذلك اليوم، ألتفتُ يمنة وأم عمارة تذود عني، والتفت يسرة وأم عمارة تذود عني، وقال لها النبي في أرض المعركة: من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟! سليني يا أم عمارة قالت: أسألك رفقتك في الجنة يا رسول الله، قال: أنتم رفقائي في الجنة.

✉واليوم يتابعوا أخبار الساقطين والساقطات من أهل الشهرة مذيعين، فنانين، ولاعبين مشهورين، فتأثروا بهم قلدوهم، وأنسلخوا من الدين، وأخلدوا الى الأرض، كما قال تعالى:(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الأعراف:175:176]

ملخص أبواب العلم النافع التي يحصل بها زيادة الإيمان:

الأول- قراءة القرآن الكريم وتدبره.

الثاني- معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

الثالث- تأمل سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

الرابع- تأمل محاسن الدين الإسلامي.

الخامس – قراءة سيرة سلف هذه الأمة.

ثم إن العلوم الأخرى غير العلم الشرعي كعلم الطب والهندسة وعلم الفلك والحساب وعلم النبات، وغيرها من العلوم التي توسع الناس فيها حديثاً وأعطيت من العناية والإتمام أكثر من حقها، حتى شغلت الكثير ممن اعتنى بها عن تعلم بدائيات الدين، والأمور المعلومة منه بالضرورة فهذه العلوم أيضاً لها أثر بالغ في زيادة إيمان من اشتغل بها واعتنى بتحصيلها، إن أخلص القصد،

وأراد الحق، وتجرد من الهوى. وكم من رجل آمن وازداد إيمانه بسبب اشتغاله بالطب، ووقوفه على إعجاز الله ودقة صنعه في خلق الإنسان، وما ركبه فيه من عجائب الخلق ودقة الصنع ما يبهر العقول ويحير الألباب، فهذه العلوم لا تؤدي إلى زيادة الإيمان، إلا إذا صحبها تفكر وتأمل في آيات الله الباهرة وحججه الظاهر.

السبب الثاني من أسباب زيادة الإيمان:

ثانياً- التأمل في آيات الله الكونية: تأمل خلق الأرض وكيف أبدعت، تراها من أعظم آيات فاطرها وبديعها، خلقها سبحانه فراشاً ومهاداً، وذللها لعباده، وجعل فيها أرزاقهم، وأقواتهم ومعايشهم، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم، وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال فجعلها أوتاداً تحفظها لئلا تميد بهم، ووسع أكنافها ودحاها، فمدها وبسطها وطحاها فوسعها من جوانبها، وجعلها كفاتاً للأحياء تضمهم على ظهرها ما داموا أحياء، وكفاتاً للأموات تضمهم في بطنها إذا ماتوا، فظهرها وطن للأحياء وبطنها وطن للأموات.

⌧ونتأمل الليل والنهار وهما من أعجب آيات الله، وتأمل حال الشمس والقمر في طلوعهما وغروبهما لإقامة دولتي الليل والنهار، ـ (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً) [الفرقان:61]

⌧ونتأمل خلق الانسان سبحان الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، القائل:(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ) [الذاريات:21]

✿فجميع المخلوقات من الذرة إلى العرش سبل متصلة إلى معرفته- تعالى- وحجج بالغة على أزليته، والكون جميعه ألسن ناطقة بوحدانيته، والعالم كله كتاب يقرأ حروف أشخاصه المتبصرون (كتاب منظور)، وقال تعالى:(أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) [الغاشية:17-20]

ثالثاً- ومن أسباب زيادة الإيمان وتقويته: أن يجتهد المسلم في القيام بالأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله تعالى وأن يكثر منها، ويداوم عليها.

⌧فإن كل عمل يقوم به المسلم مما شرعه الله ويخلص نيته فيه يزيد في إيمانه، لأن الإيمان يزيد بزيادة الطاعات وكثرة العبادات.

⌧ ثم إن العبودية التي شرعها الله لعباده وطلب منهم القيام بها، فرضها ونفلها منقسمة على القلب واللسان والجوارح وعلى كل منها عبودية تخصه:

✿فمن عبودية القلب التي تخصه: الإخلاص والمحبة والتوكل والإنابة والرجاء والخوف والخشية والرهبة والرضى والصبر وغيرها من الأعمال القلبية.

✿ومن عبودية اللسان التي تخصه: قراءة القرآن، والتكبير والتسبيح والتهليل والاستغفار، وحمد الله والثناء عليه سبحانه، والصلاة والسلام على رسوله وغيرها من الأعمال التي لا تكون إلا باللسان.

✿ومن عبودية الجوارح التي تخصها: الصدقة والحج والصلاة والوضوء والخُطا إلى المسجد ونحوها من الأعمال التي تكون بالجوارح.

والناس في القيام بها على ثلاث درجات: منهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخيرات.

لكن الواجب أن يبدأ بعبودية القلب: فيقوم بتطهير قلبه وإصلاحه والعناية به، قبل أن يعتني بإصلاح ظاهره، إذ لا عبرة بصلاح الظاهر مع فساد الباطن ومتى ما أصلح المسلم قلبه بالأعمال الزاكية والإخلاص والصدق والمحبة لله تعالى ولرسوله -ﷺ- استقامت جوارحه وصلح ظاهره، كما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشر قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول:"... ألَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألَا وهي القَلْبُ".

فهذا الحديث فيه أعظم إشارة إلى أن صلاح حركات العبد الظاهرة بحسب صلاح حركة قلبه وباطنه، فإن كان قلبه سليما ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات جوارحه كلها، بخلاف ما إذا كان قلبه فاسداً قد استولى عليه حب الهوى واتباع الشهوات وتقديم حظوظ النفس فإن من كان كذلك فسدت حركات جوارحه كلها.

كيف تصلح قلبك؟ قال ابن القيم رحمه الله:" فأول شواهد السائر إلى الله والدار الآخرة، أن يقوم به شاهد من الدنيا وحقارتها، وقلة وفائها، وكثرة جفائها، وخسة شركائها، وسرعة انقضائها ... وعظم الاخرة ولذة النظر إلى وجه الرب جل جلاله، وسماع كلامه، منه بلا واسطة والنعيم المقيم الذي لا يزول ولا يحول.

وأما عبودية اللسان: كذكر الله عز وجل وحمده والثناء عليه وقراءة كتابه والصلاة والسلام على رسول الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتسبيح والاستغفار والدعاء وغير ذلك من الأعمال التي تكون باللسان، فلا شك أن القيام بها والمداومة عليها والإكثار منها من أعظم أسباب زيادة الإيمان.

ذكر ابن القيم في كتابه الوابل الصيب أن للذكر مائة فائدة: منها أنه يطرد الشيطان، ويرضي الرحمن، ويزيل الهم والغم، ويجلب الفرح والسرور، ويقوي القلب والبدن، وينور الوجه والقلب، ويجلب الرزق، وغير ذلك مما ذكره رحمه الله من الفوائد العظيمة التي تنال بذكر الله عز وجل ولا شك أن أعظم فوائد ذكر الله وأنفعها أنه يزيد في الإيمان ويقويه ويثبته ولهذا فقد ورد في الكتاب والسنة نصوص كثيرة في الأمر به والحث على الإكثار منه، وبيان فضله وأهميته: قال تعالى: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[الأنفال:45]، وقال تعالى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب:35]

قال -ﷺ-:" ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخيرٌ لَكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضرِبوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُم؟ قالوا: بلَى. قالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعالَى قالَ معاذُ بنُ جبلٍ: ما شَيءٌ أنجى مِن عذابِ اللَّهِ من ذِكْرِ اللَّهِ "صحيح الترمذي

فإن أعرض الإنسان عن هذا كله ولم يشغل لسانه بذكر الله عز وجل اشتغل لسانه بغير ذلك من الغيبة والنميمة والسخرية والكذب والفحش، لأن العبد لا بد له أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه الأمور.

وأما عبودية الجوارح: من صلاة وصيام وحج وصدقة وجهاد وغير ذلك من الطاعات، فهي كذلك من أسباب زيادة الإيمان، فالاجتهاد في القيام بالطاعات التي افترضها الله على عباده،

وبالقربات التي ندب عباده إليها، والإتيان بها على أحسن الوجوه وأكملها من أعظم أسباب قوة الإيمان وزيادته.

🖂وأجمع السلف على أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فالدعوة إلى الله تعالى والى دينه، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والدعوة إلى أصل الدين، والدعوة إلى التزام شرائعه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح للمسلمين فإن ذلك من دواعي الإيمان وأسبابه، وبه يكمل العبد نفسه، ويكمل غيره.

رابعا- ومن أسباب زيادة الإيمان وتقويته: إنَّ خيرَ المجالس وأزكاها وأشرفها وأعلاها قدراً عند الله وأجلَّها مكانةً عنده مجالسُ الذكر، فهي حياة القلوب ونماءُ الإيمان وزكاءُ النفس وسبيلُ السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، ولهذا ورد في فضلها والحث على لزومها والترغيب في المحافظة عليها نصوصٌ كثيرةٌ في الكتاب والسنة ، مما يدلُّ على شريف قدر تلك المجالس ورفيع شأنها وعلوِّ مكانتها وأنّها خيرُ المجالس، ومجالسة أهل الخير وملازمتهم ومرافقتهم والحرص على الاستفادة منهم، لما يكون في تلك المجالس من التذكير بالله والتخويف منه سبحانه ومن عذابه والترغيب والترهيب وغير ذلك من الأمور التي هي من أعظم أسباب زيادة الإيمان، كما قال تعالى:(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)[الذاريات:55]، فهذا يدل على أن أصحاب القلوب المؤمنة تستفيد من التذكير وتستفيد من مجالس الذكرى أعظم الاستفادة ويحدث لهم ذلك نشاطا وهمة، ويوجب لهم الانتفاع والارتفاع، بخلاف مجالس اللهو والغفلة فإنها من أعظم أسباب نقص الإيمان واضمحلاله.

وفي الختام وجوه الشبه بين بركة النخلة وبركة المؤمن: أن بركة النخلة موجودة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعا، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته، وكذلك فأن النخلة عصية على كل التغيرات المناخية، ثابتة أمام الرياح العاتية، وهي مع كل هذا مثمرة نافعة، وما تحصل عليه من خدمات الرعاية والاستنبات لا يكاد يذكر أمام ما تقدمه من منافع للبشر، وكذلك حال المؤمن ثابت رغم الفتن، خيره الذي يصل للخلق لا تخطئه العين، وليس لهم عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى.

قال القرطبي: وقع التشبيه بين النخلة والمؤمن من جهة أن أصل دين المسلم ثابت وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب وأنه لا يزال مستورا بدينه وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حيا وميتا انتهى.